منارات

manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة الزمان للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

www.almadasupplements.com

العدد (5205) السنة التاسعة عشرة - الاربعاء (15) حزيران 2022

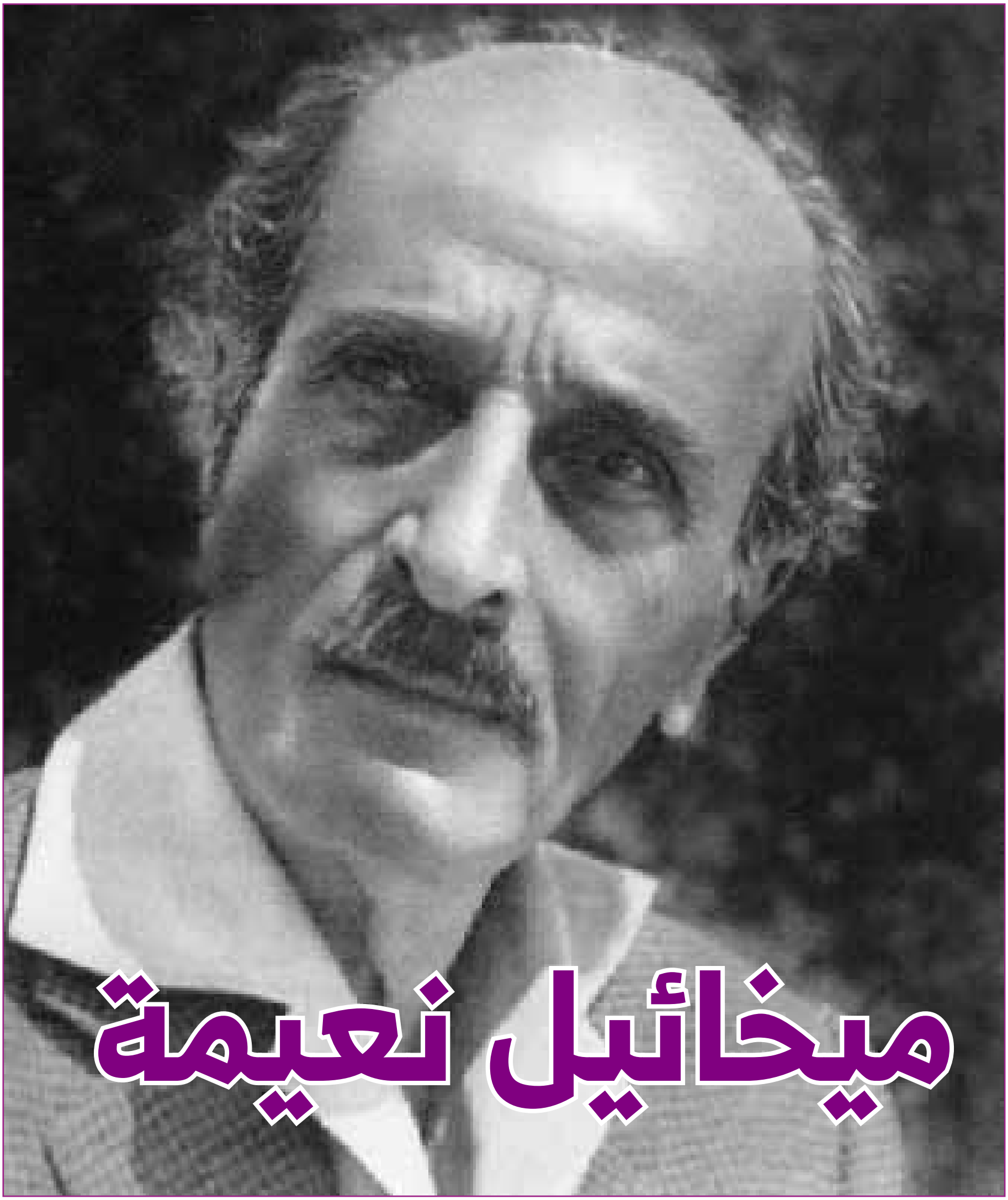

ميخائيل نعيمة

قراءة في الفكر الصوفي لمسرحيات ميخائيل نعيمة

د.فاتن حسين ناجي

ميخائيل نعيمة مفكر عربي وواحد من الجيل الذي قاد النهضة الفكرية والثقافية، وأحدث اليقظة وقاد إلى التجديد، وأفردت له المكتبة العربية مكاناً كبيراً لما كتبه وما كُتب حوله. فهو شاعر وقاصّ ومسرحيّ وناقد وكاتب مقال ومتفلسف في الحياة والنفس الإنسانية، وقد ترك خلفه آثاراً بالعربية والإنجليزية والروسية؛ وهي كتابات تشهد له بالامتياز وتحفظ له المنزلة السامية في عالم الفكر والأدب.

وكانت له عدة محاولات في تخليص الأدب العربي من الزخارف والكلام الزائد، والاقتراب بالأسلوب من تصوير واقع الأشياء والأحداث. الاستفادة من دراساته الغربية والشرقية، في تطوير كتابة القصة القصيرة التي تصور الواقع، وقد اصدر نعيمة ثلاثة أجزاء من كتاب «سبعون» الذي حوى سيرته الذاتية، وفيه بسط سجلا لتجربته الأدبية وخبرته على هذه الارض. كما أدخل على الأدب العربي الحديث لونا يكاد يكون جديدا من الإبداع بكتابه «مرداد» (١٩٥٢)، وهو أشبه بأمثولات جبران وبشر فارس الرمزية، وقد قارنه العقاد بسفر الجامعة لسليمان، وهكذا قال زرادشت لنيتشه.و لفرط ما أوغل ميخائيل نعيمة في الخمسين سنة الأخيرة من حياته في الحديث عن التقمص، وما إليه من النظريات الصوفية الأقرب الى الفكر الخرافي منها الى أي شيء آخر، كاد الناس ينسون أن له تاريخا أدبيا من نوع آخر، جدير بأن يستذكروه قبل سواه من نتاجه. ولكن القارئ العربي كاد أن ينسى هذا الجانب الأدبي المشرق من سيرة نعيمة، ربما لأن نعيمة نفسه لم يعد إليه لاحقا. فقد انصرف الى لون من الفكر الصوفي والذي ينصرف الى معالجة قضايا الروح والماورائيات، من دون أي التفات يُذكر الى قضايا الإنسان على هذه الارض، وما يصادفه فيها من متاعب جديرة ايضا بأن يهتم بها الأدباء والمفكرون والشعراء.

حاول نعيمة ان يضع أصولاً جديدة في النقد الأدبي العربي تقوم على أن يكون الأدب مسايراً للحياة وعاملا على تطويرها، والابتعاد عن إعادة الحديث في موضوعات معادة ومكررة. وكان كتابه النقدي المشهور(الغربال)، هو خير دليل على محاولة أن يكون الأدب مطورا للحياة، ولا يكون صدى لها. واتصف أسلوبه بالنزعة – الميل إلى الصوفية، بساطة العيش، ونقاء النفس، وبذلك عائد إلى دراساته العميقة للديانات المختلفة الاسلامية والمسيحية والأديان الأخرى غير السماوية يتميز أسلوبه بالبساطة والوضوح، والصراحة أيضاً، وخاصة في مجال الوصف أو السرد أو التصوير، في القصص وبعض رواياته، وكثير من مقالاته النقدية والفكرية والجمالية. لديه ميل واضح إلى الإقناع، والمجادلة العقلية السهلة.يميل أسلوبه إلى التفاؤل، وإلى التبشير بالخير والحب والجمال.

«يرى نعيمة ان العقل موجه للحواس وهو مصدر عذاب الانسان ومرشد الانسان الذي يقوده الى سبل الرشد والخير والفكر هو إعمال العقل في الأشياء وصولا الى معرفتها ولايمكن الإحاطة بالغائية النعيمية في هدفها وعملها الا بالتصدي لها لتصل الى هدفها الاسمى فمنذ البداية اصغى نعيمة الى قلبه فأمن بنفسه وآمن بالكائنات جميعها ولم يكتف بالإيمان العاطفي وانما توكأ على عقله يحل له الأسباب والعلل.»

وعلى الأرجح استناداً إلى اتجاهه على قضايا الروح والتقمص واستغراق هذه القضايا لمجمل ما كتبه على مدى خمسين عاما او اكثر ولدرجة ان البعض يدرجه في عداد الوعاظ والنساك والمرشدين. لقد كان الله وهو القدير على كل شيء،رحب الصدر الى حد انه خلق من ذاته معارضين لذاته فما كمَّ أفواههم اذ عارضوه ولا ردهم عن المعارضة بقوة بل على العكس من ذلك ابقى على حياتهم واطلق لهم الحرية في عالم يعارض بعضه بعضا بغير انقطاع لعلهم في اخر الدهر ينتهون من المعارضة الى التفاهم والتالف ثم الى المعرفة التي لايفوتها علم شيء ثم الى القدرة التي لاتعاندها قدرة.

هناك ثلاثة أنماط من التصوّف: الأول معطى إلهي تنمّيه روح الله في الإنسان، والثاني طقوسي تصنعه تأمّلات الإنسان وجهوده، ووقفاته، ومقاماته، والثالث التصوّف الجمالي الأدبي وهو لا يخلو من حبّ السكينة، وحبّ الله، وعشق الكلمة، والترحّل عبر التخيّل، والتوق الى عيش الإنسان الكامل. ولعل نعيمة من المنتمين الى التصوف الجمالي الأدبي والذي أكدت عليه ثريا ملحس في قولها (تتجلى أخلاق نعيمة الصوفية في مقاييسه النقدية للأدب والأديب، وتلك الأخلاق تجلّت في إيمانه بالإنسان، وبالله، وفي الفيض الإلهي ووحدة الوجود، والحب والمحبة، والحرية، والمعرفة، والمجاهدة، وفي قوى الإنسان، والفضائل الإنسانية كالعفة والطهارة والجمال والكمال، والصدق والإخلاص، والحق والحقيقة، والعدل والمساواة، والصبر والقناعة، واللاعنف والسلام، وأكثرها ظاهر بوضوح في كل ما خطه قلمه).

وفي كتاب «النزعة الصوفية في الأدب المهجري» للشاعر والناقد اللبناني ربيعة أبي فاضل الذي تحدث فيه عن أربعة من أعلامه هم أمين الريحاني، جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، نسيب عريضة، حيث اكد على ان نزعة جبران الصوفية تظهر أوّل ما تظهر باستشهاده بالمتصوّفة العرب كابن سينا والغزالي وابن الفارض، وبالإشارة الى زهّاد الشرق وحكمائه. إلاّ أن تصوّفه مختلف عن تصوّف هؤلاء. فلا استسلام عنده ولا جمود، لا فناء ولا عدميّة، لا جذبة أو انخطاف. لا يدعو الى الزهد والتقشّف، ولا يقضي على الأهواء، بل يريد المؤالفة بينها وبين العقل. فهو يرى في الشرّ عطشاً الى الخير، وفي الألم سبيلاً الى المعرفة. لا ينكر المادّة بل يبصر من خلالها سلّماً الى الروح، لا يحتقر المدنيّة وإنما يعتبرها مرحلة تقود الى أفضل منها. وهكذا فإن جبران من السابق المستوحد، الى المصطفى، الى يسوع ابن الإنسان، «يشدّد على أمرين: المصالحة مع الحياة والناس والكون، عيش السلام الداخلي، إبطال العودة الى الجسد، التناغم مع النظام الكوني، والسكن المطمئن في أحضان الأم الكونية – الروح الشاملة الواحدة. ولا يبتعد ميخائيل نعيمة كثيراً عن جبران في نزعته الصوفيّة، فهو يعتبر أن كلّ الدروب تؤدّي الى البارئ عند من قلبه يفتّش عن البارئ. لذلك يرسم نعيمة في كتابه «مرداد» الطريق التي تقود الإنسان الى البارئ، انطلاقاً من السفح الى أعلى قمّة. في السفح ذات الإنسان الصغرى، وفي القمة ذاته الكبرى، ولا بدّ أن يتوحّد بوحدة الحياة الكلية، ويخلد بخلودها. يكتب نعيمة: «وليس للذات الصغرى في الإنسان من معبر الى الذات الكبرى سوى منحدر الصوّان، سوى طريق التعرّي الذي هو نكران الذات، وتحمّل العطش والجوع والتشرّد والآلام. وطريق الإنسان الى وعي ذاته الكبرى ووحدته مع البارئ، ليست الحواس، وليس العقل، وإنما الرؤيا، وجمرة الإيمان والمحبّة.

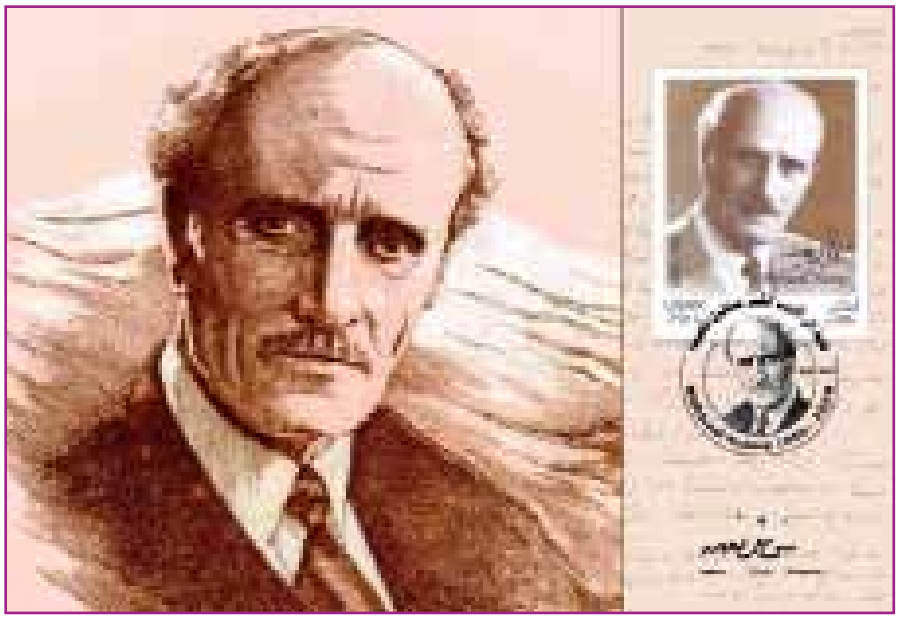

«غربال» ميخائيل نعيمة: سيموت الأدب العربي إذا ما استمعنا إلى «نقيق الضفادع»

أصدره قبل ١٠٠ عام وكأنه يتحدث عن واقعنا الراهن

هاشم صالح

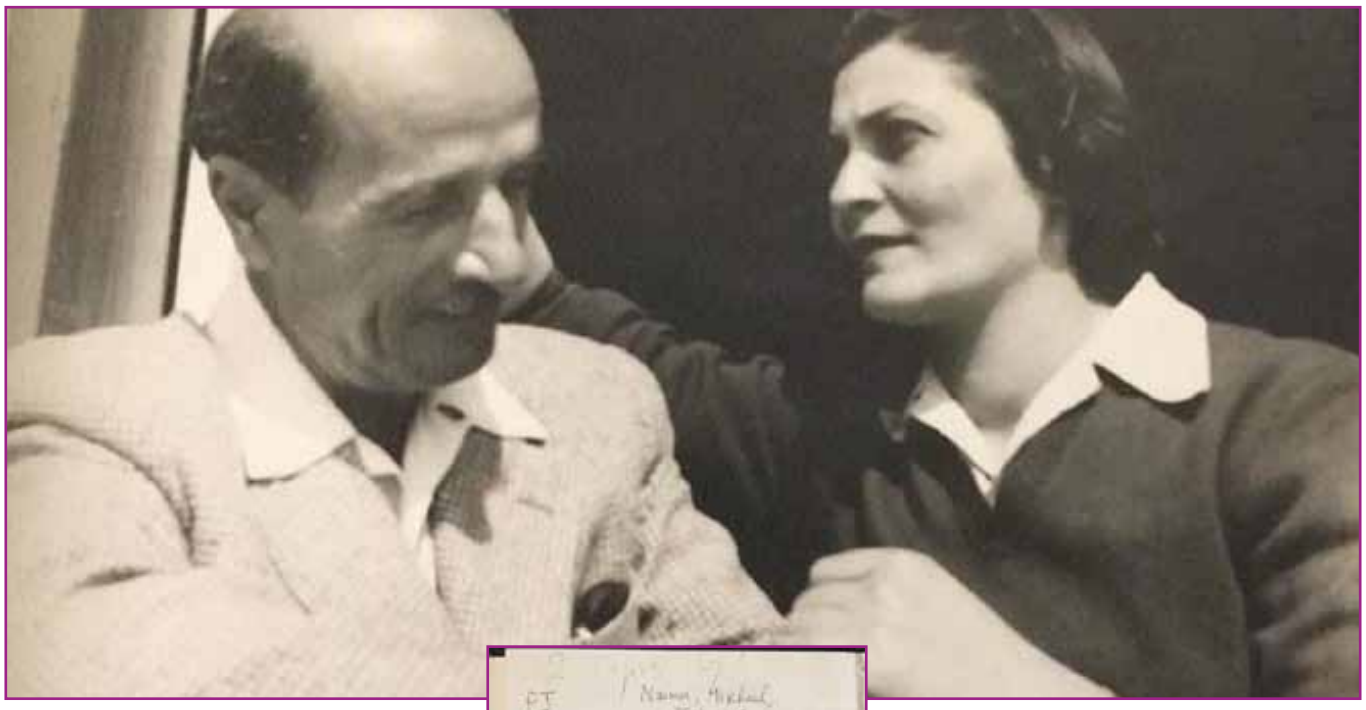

هل شاخ كتاب «الغربال» يا ترى؟ هل انتهى مفعوله؟ هل أكل عليه الدهر وشرب؟ ربما في بعض صياغاته الشكلية ولكن ليس في جوهره. روح الكتاب لا تزال منعشة ومنتعشة حتى الآن. لا تزال تنطبق على واقعنا الراهن وبشكل ملح. باختصار شديد: عندما نقرأ الكتاب نشعر أن ميخائيل نعيمة لا يزال معاصرنا، لا يزال حياً بيننا. وهذا أكبر دليل على مدى أهميته وعظمته كمفكر نهضوي عربي رائد. سوف أضرب على ذلك مثلاً محسوساً لكيلا يظل كلامي تجريدياً في الفراغ. هناك فصل كبير في الكتاب بعنوان: «نقيق الضفادع. مكانة اللغة في الأدب». هذا الفصل يكفي لتخليد الكتاب وتخليد ميخائيل نعيمة ذاته.

ماذا يعني ذلك؟ أنه يعني أن ضفادع الأدب تشلنا شلاً بنقيقها ومستنقعها وركودها. إنها تشل تطور اللغة العربية بل والحياة العربية ذاتها. هؤلاء الأشخاص ما ينفكون يصححون لك لغوياً، ويقولون لك: قل ولا تقل! هذا حلال وهذا حرام لغوياً. هذا يجوز في نظر الثعالبي أو الأصمعي وذاك لا يجوز. حذار! ثم حذار! إياك أن تنتهك قداسات اللغة الموروثة أو تخرج عليها قيد شعرة. اللغة العربية ينبغي أن تظل ثابتة، جامدة، كما هي منذ مئات السنين.

لماذا لا تكتب بلغة قاموسية سليمة يا أخي؟ وإلا فأنت خارج نطاق الأدب. نضرب مثالاً على ذلك بيت جبران خليل جبران من قصيدة «المواكب» الشهيرة التي تغنيها فيروز:

هل تحممت بعطر
وتنشفت بنور

بيت ولا أروع. بيت يذكرك بجبال لبنان وسواقي لبنان ووديان بشري.. إلخ. من منا لم يتحمم يوماً ما في أحضان الطبيعة حتى دون أن يتحمم؟ يكفي أن تمشي في تلك الوديان لكي تشعر بعطر الوجود. فما بالك إذا سقط عليك شلال من بين الصخور؟ أتحدث هنا عن أبناء الأرياف والجبال. ولكن المشكلة هي أن هذا البيت «السماوي» خاطئ لغوياً! ضفادع الأدب أو بالأحرى ضفادع اللغة العربية تعده خاطئاً من الناحية اللغوية. إنها تستهجنه وتلوم الكاتب عليه لوماً شديداً. لقد ارتكب جبران خليل جبران جريمة نكراء في حق اللغة العربية. ما هي؟ أين هي؟ بالله عليكم قولوا لي ما هي؟ لا أرى شيئاً. لماذا استخدم الشاعر كلمة «تحمم» بدلاً من كلمة «استحم» الفصيحة لغوياً والشرعية قاموسياً؟ يا لهول الفظاعة! ما أغبى جبران خليل جبران! ما أشد جهله باللغة العربية! ولكن هل يمكن لكاتب عبقري خلاق أن يتقيد بلغة الأصمعي والشنفري؟ ألن يقضي ذلك على إبداعه وعبقريته. الشاعر يتفجر، الشاعر يحق له أن يشتق الكلمات الجديدة، أن يفجر اللغة، أن يأخذ حريته.

وإلا فلا إبداع ولا تطور لغوي ولا من يحزنون. سوف يموت الأدب العربي إذا ما استمعنا إلى نقيق الضفادع. لنستمع إلى ميخائيل نعيمة يقول حرفياً: «لو تبصر ضفادع اللغة العربية يوماً ما تاريخ لغتهم لوجدوا فيه أصدق شاهد على هذا القول. ألا يرون أن اللغة التي نتفاهم بها اليوم في مجلاتنا وجرائدنا ومن على منابرنا غير لغة مضر وتميم وحمير وقريش؟ ألا يرون أنه لو أتيح لأسلافهم تقييدنا منذ ألفي سنة لما كان لنا حتى اليوم لغة سوى لغة الحيزبون والدردبيس والطخا والنقاخ والعلطبيس؟».

هنا تكمن أهمية هذا الكتاب الرائد. إنه من شدة حرصه على اللغة العربية يريد تطويرها، يريد إنقاذها؟ كيف؟ عن طريق جعلها تستمد مفرداتها من نسغ الحياة. ولكن المتزمتين لغوياً يريدون تقميطها وخنقها. أحياناً يتفاصحون ويتقعرون إلى درجة أنهم يقولون: النائب سميرة صالح مثلاً! يا أخي لماذا لا تقولون: النائبة سميرة صالح؟ فهي امرأة سيدة وليست رجلاً. شيء عجيب غريب. شيء يجعلني أخرج عن طوري. الفرنسيون يحسدوننا لأنه لا يوجد في لغتهم مؤنث طبيب مثلاً، ولذلك يضطرون للقول: امرأة طبيبة. ولا يوجد في لغتهم مؤنث كاتب. أما نحن فتوجد في لغتنا كلمة طبيبة وكلمة كاتبة، ولا نعاني من أي مشكلة. مؤخراً اخترعوا أو اشتقوا مؤنث كاتب في اللغة الفرنسية، ولكنها كلمة بشعة على عكسنا نحن. وأحياناً يخرج عليك بعض الكتاب العرب ببدعة جديدة. فيقولون للمزيد من التقعر والتفاصح في العام كذا وليس في عام كذا. لماذا يا أخي؟ كنا معتادين دائماً على القول في عام ١٩٦٠ مثلاً حصل كذا وكذا وليس في العام ١٩٦٠، لماذا هذا الإثقال والتثقيل؟ اتركوا اللغة العربية تتنفس، اتركوها تتحلحل. اتركوها تقترب من لغة الحياة اليومية. أتذكر أن المتقعرين عابوا عليّ عنوان كتابي الصادر عن «دار الساقي» عام ٢٠١٣ بعنوان: «الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة التاريخ». لماذا لم أقل «في ضوء فلسفة التاريخ» فهي أصح لغوياً على ما يبدو؟ متى ستنتهي هذه الملاحقات البوليسية؟ كنت قد كرست فقرة غاضبة مشتعلة لهذا الموضوع في كتابي الأخير الصادر عن «دار المدى» بعنوان: «العرب بين الأنوار والظلمات. محطات وإضاءات». الفصل الثاني بعنوان: «هل يمكن إنقاذ الثقافة العربية؟»، وبالتالي فأنا أمشي دون أن أدري على خطى أستاذنا الكبير: ميخائيل نعيمة. الخلاصة: لا تخافوا من التجديد اللغوي، لا تخافوا من الاشتقاقات والاختراعات

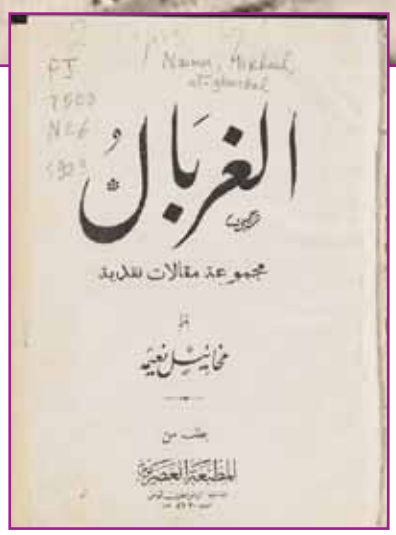

الضرورية لمسايرة تطور الحياة. أكاد أقول لا تخافوا من انتهاك قوالب اللغة التقليدية والخروج عليها إذا كان ذلك ضرورياً ويلبي حاجة ماسة، إذا كان ذلك يغني اللغة العربية ويضيف إلى الأدب العربي مساحة جديدة من الإبداع والحرية. وهذا ما فعله الكاتب العبقري جبران خليل جبران في قصيدة خارقة من أجمل ما كتب في اللغة العربية.

في الكتاب فصول عديدة تمشي في ذات الاتجاه التجديدي المنعش. إنها فصول متمردة على التقليد والجمود والخمود الذي كان سائداً في عصر ميخائيل نعيمة عندما ألف هذا الكتاب الرائد. ينبغي ألا ننسى أنه ألفه والعالم العربي لما يكد يخرج من نير السلطنة العثمانية وظلماتها. وفي الكتاب دعوة إلى تحطيم الأوزان والقوافي والخروج عليها لأنها تقيد حرية الشاعر المبدع. فهو يفرق بين النظامين والشعراء الحقيقيين. ولكن دعوته هذه لم تتحقق عملياً إلا بعد ظهور الشعر الحديث في الخمسينات والستينات أي بعد تأليف الكتاب بثلاثين أو أربعين سنة. نقول ذلك وإن كانت بعض نصوص جبران ونعيمة ذاته استبقت على ظاهرة الشعر الحديث وتحررت من الأوزان والقوافي والزحافات والعلل. وقد أعجبني تعريفه للشعر وأدهشني. يقول مثلاً: «الشعر هو غلبة النور على الظلمة، والحق على الباطل»! لم أسمع بهذا التعريف من قبل على الأقل في نطاق الثقافة العربية. من الواضح أن ميخائيل نعيمة عندما ألف هذا الكتاب كان قد سافر في البلدان ودرس في روسيا وأميركا واطلع على الآداب الأجنبية. ولهذا السبب يحث العرب على توسيع مداركهم وعقولهم. كيف؟ عن طريق الترجمة. ولذلك يخصص صفحة كاملة في الكتاب بعنوان حماسي قاطع: فلنترجم! هنا أيضاً نجد أنفسنا متفقين معه، ونجد أن دعوته لا تزال راهنة وملحة تماماً. يقول بالحرف الواحد:

«نحن في دور من رقينا الأدبي والاجتماعي قد تنبهت فيه (أي استيقظت فيه) حاجات روحية كثيرة لم نكن نشعر بها من قبل احتكاكنا الحديث بالغرب. وليس عندنا من الأقلام والأدمغة ما يفي بسد هذه الحاجات. فلنترجم! ولنجل مقام المترجم لأنه واسطة تعارف بيننا وبين العائلة البشرية العظمى».

كل من مارس الترجمة يعرف معنى كلام ميخائيل نعيمة هذا ومغزاه. ولكن لكي تنجح عملية الترجمة ينبغي توافر ثلاثة شروط: الأول حسن اختيار الكتب التي تستحق الترجمة. والثاني عدم التقيد بالترجمة الحرفية. الخيانة مكروهة في كافة المجالات (لاحظوا هنا ارتكبت خطأ لغوياً قاتلاً: كان ينبغي أن أقول في المجالات كافة وليس في كافة المجالات! أستغفر الله). قلت إذن بأن الخيانة شيء بشع ما عدا في مجال الترجمة. ولكنها خيانة محسوبة: بمعنى أنها تخون الحرف لكي تخلص للجوهر. والشرط الثالث هو توافر مترجمين حقيقيين في العالم العربي. فالترجمات الرديئة تملأ الشوارع... وهي تؤدي إلى تشويه أجيال بأسرها من الناحية الثقافية. من هنا خطورة الترجمة والمسؤولية الجسيمة التي تترتب على المترجمين.

وأخيراً ما هو النقص الوحيد الذي يعتري كتاب «الغربال» هذا؟ أنه في رأيي يكمن فيما يلي: لقد تحدث عن التجديد اللغوي والأدبي والاجتماعي وكل شيء تقريباً، ولكنه تحاشى عملياً التحدث عن التجديد في مجال الفكر الديني. ولكن هل كان بإمكانه طرق هذا الموضوع الخطير في ذلك الوقت العصيب من ظروف سوريا ولبنان والمشرق العربي عموماً؟ كان ذلك سابقاً لأوانه.

كان ذلك خارجاً عن إرادته وإن كان قد فكر فيه في خفايا نفسه دون أن يستطيع الخوض فيه. بل حتى في وقتنا الراهن نحن نعد على العشرة قبل أن نكتب حرفاً واحداً!

عن الشرق الاوسط

ميخائيل نعيمة في بغداد

حارث طه الراوي

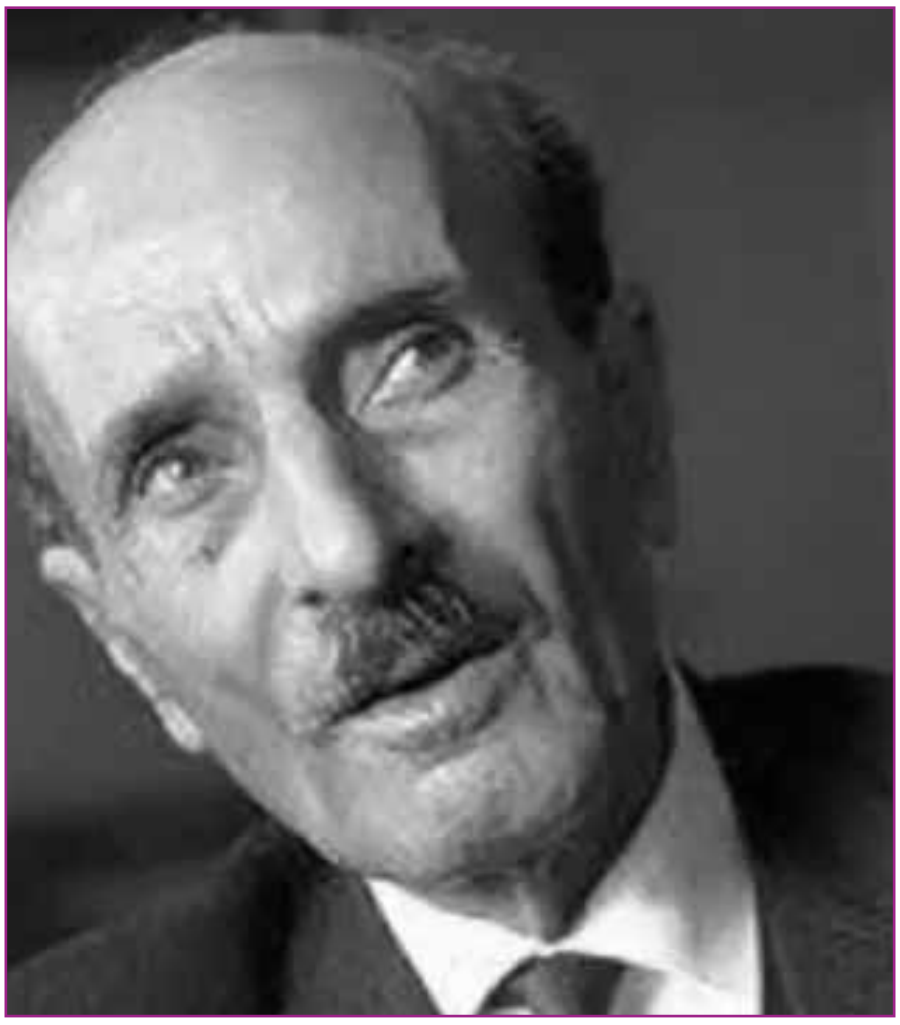

قراء العربية جميعا يعرفون من هو الاستاذ ميخائيل نعيمة، انه علم من اعلام الادب العربي الحديث، وشاعر من شعراء العربية المجددين، انه البقية الباقية من اساطين الشعر والبيان في الجيل الماضي، فهو صنو جبران خليل جبران وايليا ابو ماضي، وهو معاصر الرصافي وشوقي والجارم.. وقد كان الاستاذ نعيمة احد ضيوفنا في مهرجان بغداد - الكندي.

حيث ظهر في ندوة تلفزيونية، قدمه السيد جميل الجبوري بقوله "ان الاستاذ ميخائيل نعيمة اديب عرفه الشرق انسانا مفكرا.. فلسف الادب وادب الفلسفة، هذا الاستاذ الذي اعطى للفكر العربي الخلاق نتاجات رائعة، وصور بالكلمة الشاعرة همسات النفوس وفيض الوجدان والخواطر الجميلة الشقراء».

وفيما يلي بعض ما دار في هذه الندوة التاريخية:

× اهلا بكم سيادة الاستاذ في محطة التلفزيون.. حبذا لو تفضلتم بالحديث الى مشاهدينا عن انطباعاتكم وما تركته هذه الزيارة القصيرة التي نرجو ان تكون اطول بالمستقبل في نفسكم بهذه المناسبة وما انطبع في نفسكم عن احتفالات بغداد والكندي..

تعود الناس.. اكثر الناس.. على ان يردوا الاحداث والامور الى اسبابها القريبة.. واني في هذه المناسبة لو شئت ان ارد الفضل في زيارتي لبغداد التي هي زيارتي الاولى لقلت ان الفضل يعود الى لجنة الاحتفالات.. اما في الواقع فالفضل يعود الى المنصور الذي اسس بغداد، والى الكندي الذي رفع اسم بغداد بما ابقاه لنا من فلسفة ومن اعمال عظيمة، وليس المهم هاهنا ان ارد الفضل الى اصحابه فاصحاب الفضل كثرة، والمهم اني وجدت نفسي لاول مرة على هذه الارض الخيرة التي هي ارض العراق وبين اخوة غمروني بفضلهم وبعطفهم وبلطفهم وبكرمهم.. فوجدتني وكأنني في دنيا من السحر.. بغداد القديمة قرأت عنها الشيء الكثير، والكندي ان لم اكن طالعت شيئا من مؤلفاته فقد سمعت عنه كذلك.. الا ان الذي استرعى انتباهي بالدرجة الاولى وافعم صدري بالفرح هو ان بغداد التي وقفت في ايدي المغول سنة ١٢٥٨ بقيت تتقهقر عاما بعد عام الى ان كان عام ١٩٥٨ واذا ببغداد تنفض غبار الاجيال عنها وتنهض من كبوتها وتمضي تجدد مجدا غير المجد الذي كان لها في ايام الخلفاء العباسيين ذلك مجد لم يخل من الظلم ولم يخل من التعسف ولم يخل من الاثرة ذلك مجد قام على اكتاف قلة.. اما الان فهو مجد يقوم به الشعب.. يقوم به اهل العراق...

وهذه المدينة التي ابصرتها في الايام القليلة من وجودي هاهنا انها كالطائر الاسطوري الذي يموت ثم يعود من جديد.. ان بغداد الجديدة تبعث حية.. ان بغداد الجديدة لا تخشى ان تهدم اذ هي تبني.. وهناك الشعوب التي لا تعرف قيمة الهدم ولانها لا تعرف قيمة الهمم لا تعرف قيمة البناء. بغداد نامت سبعة قرون ولكنها لم تندثر، واليوم كما تعرف كانت لنا نزهة جميلة جدا الى الحلة حيث اثار بابل القديمة.. بابل نامت ولا تزال نائمة.. بابل اندثرت ولن تقوم.. اما بغداد فنامت وهي اليوم في وثبة عظيمة هائلة.. واود لهذه الوثبة ان لا تقف عند حد.. اود لهذا البناء ان لا يقف عند حد.. اود للقديم البالي ان يندثر.. واود للجديد النشيط ان يندفع في طريقه الى الامام..

ومما اسعدني كذلك ان اجد هنا اصدقاء كثيرين لم اكن اعرف عنهم شيئا ولكنهم كما يبدو كانوا يعرفون الشيء الكثير عن ميخائيل نعيمة.. وليس الذ لقلب كاتب من ان يلتقي بقرائه وجها لوجه.. ليس الذ من ان تقع العين على العين وان ينطلق من القلب ما يجد طريقه لا الى الاذن فقط، بل الى القلب مباشرة.. واظن ان لقاءاتي مع بعض هاهنا ولم التق منهم الا العدد اليسير كانت من هذا النوع من اللقاءات.. لقد كانت لقاءات قلوب.. لقاءات ارواح.. وارجو ان تستمر هذه اللقاءات في المستقبل..

× شكرا يا استاذ لهذه العواطف الكريمة ونحن نرجو ان نكون وتكون بغداد دائما عند حسن ظنكم وعندما تحبون لها.. سيادة الاستاذ قرأ لكم القارئ العراقي الاديب والمتأدب في كثير مما انتجتموه.. همس الجفون، والغريد، والاب والنيون، ومذكرات الاورفش ومرداد، وكرم على درب، وفي مهب الريح، وفي دروب، ولا استطيع للاسف الشديد ان احصى كل ما كتبتم.. ترى هل لكم ان تحدثوا المشاهد الكريم ما هي نشأتكم الادبية؟ او على الاقل اضواء على هذه النشاة الادبية الرائعة..

احسنت اذ قلت ان اطرح بعض الاضواء عليها.. اما ان استطيع تحليلها واين بدأت وكيف بدأت فهذا فوق طاقتي.. واظن فوق طاقة اي اديب او اي انسان.. وجل ما استطيع قوله بهذه المناسبة هو انني ما ان بدأت اقرأ حتى بدأت اتذوق الكلمة.. فكان للكلمة ضرب من السحر عندي.. وما ان اتقنت شيئاً من النحو واصبحت لي قدرة ان انسج العبارات ثم ازاوج العبارات حتى بدأت اشعر وكاني ملتصق بالكلمة كما يلتصق الجنين بالرحم.. فلا انفصال بينهما على الاطلاق.. وهذا الحب للكلمة بدأ يسوقني عن غير وعي مني في البداية الى ان اخذت اتعرف على بعض الادباء وبعض الكتاب من خلال مؤلفاتهم.. وانا لا ازال تلميذا في دار المعلمين الروسية في الناصرة.. هنالك كان للحظ ان اقرأ الشعر وان احفظ الكثير من الشعر، درسنا المتنبي والبحتري وابا تمام ودرسنا الشعر الجاهلي، وفي الحال حيثما وقعت على بيت جميل كان يغريني ان انظم مثله.. كان يقربني ان انسق الصدور والاعجاز وان تتكون لدي قصيدة.. ذلك بالطبع كان ميل شاب لايزال في سن المراهقة.. عندما كنت في دار المعلمين في الناصرة كنت بين الثانية عشر والسادسة عشر ومن بعد الناصرة انطلقت الى روسيا.. حيث اتقنت اللغة الروسية كاهلها وهنا انفتحت امامي افاق واسعة.. افاق الادب الروسي الذي هو باعتراف اكبر نقاد العالم في قمة الاداب العالمية عندما اطلعت على هذا الادب الجميل الواسع الغنى الزاخر ولدت في رغبة هائلة في ان انظم الشعر كما ينظمه الروسي، ان اكتب القصة كما يكتبه الروسي.. وهكذا بدأت انظم الشعر باللغة لروسية.. وكانت من اولى القصائد التي نظمتها باللغة الروسية قصيدتي التي ترجمتها فيما بعد الى اللغة العربية.. قصيدة النهر المتجمد.. اذكر اني نظمت هذه القصيدة بمناسبة مكوثي شتاء كاملا في قرية من قرى الولاية التي ادرس فيها وهذه القرية كانت قائمة على ضفاف نهر يدعى نهر "سولا".. وتعرفون ان في روسيا البرد فارس والشتاء طويل وهذا النهر كان يتجمد في الشتاء بحيث يصبح في استطاعة عربات الخيل والرجال والنساء.. الخ.. ان يمروا على الجليد كما تمر الان على الاسفلت، واتفق لي ان قطعت ذلك النهر ذهابا وايابا عدة مرات على الجليد.. فاستوقفتني هذه الفكرة ان هذا النهر امس كان بكر.. امس يجري.. امس كان يغني.. امس كان ينشد.. والان تجمد فلا تسمع له صوتا ولا تبصر له وجها الا هذه الصفحة من الجليد التي تغطي وجهه.. فنظمت هذه القصيدة باللغة الروسية.. وختمتها بخطاب اوجهه الى الشعب الروسي ذاته..

ولا بأس اذ ان ذكرت هذا الامر لابين لك شعوري عندما كنت شابا.. شعور الالم الذي كنت اعانيه لمجرد نظري الى شعب مظلوم.. الشعب الروسي كان يعاني من الالام ما لايطاق.. شعب لم يكن له اي حقوق وفي الاخص الفلاحين والعمال.. وهذا الشعور تولد عندي انه من الحرام لهذا الشعب الذي يتعب والذي يكدح.. ان يعيش عيشة زرية كالعيش الذي كان يعيشه في روسيا. لذلك ختمت قصيدتي في خطاب الى روسيا بل ما اختمه بالعربية غيرت النهاية وانهيت القصيدة بخطاب اوجهه الى قلبي.. وكنت في خطابي للروس اقول:

لابد ان الربيع سيأتي للنهر وسينفك النهر من عقالاته ويعود فيكر الى البحر.. الخ.. فيغني.. اما انت يا روسيا متى ياتيك الربيع؟ متى تبصرين شيئا من الانفراج؟.. متى تبتسمين؟.. متى تزهر ايامك؟ متى يتفوق الشعب البسيط الفقير هنا شيئا مما يمكن ان تدعوه السعادة؟..

ثم اجيب عن روسيا وروسيا لا تجيبني.. اقول لها انت لا تجيبيني يا روسيا.. نامي يا حبيبتي.. اما بالعربية فاختتم القصيدة بخطاب اوجهه الى قلبي فاقول: ان قلبي غدا كالنهر.. النهر سينفك من عقاله اما قلبي فلا..

مع الشكر الجزيل استاذ.. على ذكر قصيدة النهر المتجمد.. نذكر اخي.. ونذكر همس الجفون، ونذكر الروائع الاخرى.. بدأتم شاعرا ناقدا.. ترى لم تركتم الشعر والنقد الى القصة والمقالة؟

بدأت كما ذكرت بالشعر.. ثم انتقلت الى النقد بعد ان انتقلت الى الولايات المتحدة الامريكية.. وكانت الظروف دفعتني الى الكتابة لاني انقطعت عن العالم العربي بتاتا عندما كنت في روسيا.. واذا بمجلة تأتيني من صديق قديم لي ورقيق في الناصرة اسمه "نسيب عريضة" عندما اتصل بي تذكر رفيقه القديم في الناصرة وقال هات ابعث لنا بمقال وكان ان صدر في ذلك الزمان اظن كتاب جبران "الاجنحة المنكسرة".. طلب الي رأي.. قرأت عن الاجنحة المنكسرة تقاريض عديدة في الصحف العربية في المهجر في ذلك الزمان..

انا كنت بعيدا عن نيويورك.. كنت في الطرف الغربي من الولايات المتحدة.. وجبران كان في نيويورك في الطرف الشرقي.. ولم اكن اعرف جبران في ذلك الوقت وجبران لم يكن يعرف عني شيئا.. قرأت كتاب جبران الاجنحة المنكسرة وقارنته بالادب كما فهمته في روسيا.. فوجدته بعيدا جدا عن المستوى الذي كنت قد ادركته انا بذهني وقلبي.. انه محاولة رومانطيقية فيها كثير من الوصف وفيها الكثير من التفجع ولكن لا يمكن ان تدعوه قصة او رواية، انه شيء من الشعر.. لذلك كتبت اول مقال نقدي كان عن الاجنحة المتكسرة لجبران. عندما بلغ المقال نيويورك واطلع عليه جبران ضرب كفا بكف وقال لنسيب عريضة: اين كان هذا الرجل ميخائيل نعيمة؟.. لماذا لم نسمع به قبل الان؟.. هذا يعرف كيف يكتب.. هذا يعرف كيف ينقد..

وذلك كان بدء حياتي النقدية.. حياتي في النقد، واخذت ابدع في النقد لانه كان من الضروري ان اشق لي طريقا.. لاعطي ادبا جديدا.. الادب التقليدي.. في العالم العربي في ذلك الوقت.. كان ادبا باهتا جامدا لا حياة فيه ولا صلة بينه وبين الحياة التي يحياها الناس.. لذلك كان من دوافعي الاولى ان امهد الطريق ان اقتطع تلك الاشواك وان افتت تلك الصخور التي كانت تملأ الطريق وادل الناس على نهجي الجديد ادل الناس على ادب حقيق كما فهمته انا.. ولذلك انطلقت في النقد.. وكانت مهمتي الاولى كما قلت ان ادل العالم على الادب الحي على المعنى الجديد للادب، وعندما انتهيت من هذه المهمة بنهاية كتاب "الغربال" شعرت ان العالم العربي اخذ يتذوق الادب بطريقة جديدة.. ولذلك تركت المجال لغيري اما انا فانصرفت في الطريق الاخر.. انصرفت في طريق التفكير الجدي في الحياة واعماقها ومعانيها الى ما هنالك.

ثم استمر الاستاذ ميخائيل نعيمة يجيب على الاسئلة اجابة واضحة رقيقة بعبارات شيقة يفيض من خلالها عبير الذكريات العطرة ذكريات حياة ادبية حافلة بكل الوان الادب الرفيع ومن دواعي الاسف ان لا نوفق في الحصول على بقية الحديث في هذه الندوة التاريخية.

مجلة الاذاعة والتلفزيون ١٩٦٢

ميخائيل نعيمة الكاتب الصوفي المتنسك

شكيب كاظم

على الرغم من حذر نعيمة وتوجسه، شأنه شأن الشرقيين، في البوح عن المكنونات، فإنه يحدثنا عن ماسونيته، ويجب علينا أن ننظر إليها بميزان زمانها، لا زماننا هذا، فلقد انتمى إلى المحفل الماسوني العديد من رجل ونساء السياسة والفن والأدب وحتى الدين مثل جمال الدين الأفغاني والممثل المصري أنور وجدي، ولن اتحدث عن العراقيين ولاسيما الأطباء منهم.

ولأن شقيقه (أديب) كان ماسونياً متقدماً، لا بل وصل إلى أعلى الدرجات، وهي الدرجة الثالثة والثلاثين، فيغريه بالانضمام إلى الجمعية الماسونية في (والا والا) لكنه لا يعتم أن يغادرها سراعاً، شارحاً الأسباب (وجدت القوم يلهون بالقشور دون اللباب (...) إن القسم الأكبر لم ينضم إلى الجمعية إلا طمعاً بمنفعة مادية واجتماعية (...) ولعلني فعلت ما فعلت مسايرة لخلة متأصلة في نفسي، ففي طبعي ما يأنف من الانقفاص ضمن حدود أي جمعية أو مذهب، وينفر من شتى السمات والشارات مهما حَلَتْ في أعين الناس) ص ٦٤. المرحلة الثانية.

رفاق الحسد

وتنشب الحرب، وتدخلها أمريكا في ١٩١٧/٦/٤، إثر اعتداء الماني على قطعة بحرية أمريكية، والحرب تعني دعوة الشباب للانخراط بالجيش، ولأن من طبعه التقيد بالقانون، فيلتحق، ومع نحو خمسين ألف جندي يركبون البحر نحو بوردو في الشمال الفرنسي، لكن تطوعه هذا ما ذهب سدى، إذ يُختار – بعد نهاية الحرب- وعدد من الجامعيين للدراسة في الجامعات الفرنسية، نعيمة يشير إلى أن (رفاقي ينظرون إليّ بشيء من الحسد (...) تلك الساعة كانت من أسعد الساعات في حياتي، وقد جاءت أبدع كفارة عن كل ما قاسيته في الجندية من عَنَتٍ ومشقة ومذلة وحرمان) ص١٢٥.

ولعل من أهم أعماله في هذه السنوات التي أمضاها في الولايات المتحدة، فضلاً عن الكتابة والتأليف ونشر كتبه، سواء في العالم العربي أم في أمريكا، تأسيس (الرابطة القلمية) سنة ١٩٢٠، وكتابته قانونها، بعد أن ألح عليه جبران لمغادرة واشنطن حيث يقيم نعيمة إثر عودته من الدراسة في باريس، ألح عليه للقدوم إلى نيويورك، وتألفت الرابطة من: رشيد أيوب، وندرة حداد، وجبران، ووليم كاتسفليس، ووديع باحوط، والياس عطا الله، ونسيب عريضة، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، وعبد المسيح حداد، شقيقي ندرة، هؤلاء العشرة الذين رتبهم حسب الأقدم عمراً، اختاروا جبران رئيساً لها ونعيمة مستشاراً، وسيعود نعيمة للحديث عن الرابطة بتفصيل أشمل في كتابه الأهم (جبران خليل جبران. حياته. موته. أدبه. فنه).

ولو تفحصنا أسماء هؤلاء العشرة، فلا نجد فيهم من كتب وواصلها سوى، جبران ونعيمة وإيليا، وبشكل موسمي نسيب عريضة، ورشيد أيوب، ولعلهما قبلاً فيها لكون الأول أي نسيب كان ناشراً أكثر منه منتجاً، إذ كان يصدر مجلة (السائح) ومن قبلها (الفنون) ومن بعدها (الهدى) لا بل أن نعيمة يقول إن وديع باحوط لم يكتب بعد انضمامه إلى الرابطة سوى مقال واحد!

وإذ خصَّ كل عضو في الرابطة بخلاصة حياتية، فإني وقفت عند رأيه بأيليا أبو ماضي، إذ يصفه بالمتقلب في صداقاته وعداواته، فيه شيء من طبيعة الحمامة، وشيء من طبيعة العقرب، صادق الريحاني (أي أمين) زماناً ثم انقلب عليه، فاتهمه بالتجسس للإنكليز، تنظر ص١٧١، وهو الوصف ذاته الذي أطلقه عليه الجواهري الكبير.

العودة الى صنين

ظل نعيمة الأديب الصوفي، كما تصفه الباحثة اللبنانية (ثريا ملحس) (١٩٢٥-٢٠١٣) في كتابها (ميخائيل نعيمة الأديب الصوفي) الذي أصدرته دار صادر ودار بيروت سنة ١٩٦٤، وهو من ضمن خزانة كتب المرحوم أبي، أقول: ظل هذا الأديب الصوفي المتصوف الناسك، المتنسك، غير مؤتلف مع الحياة الميكانيكية الآلية التي تفتقر إلى الروح، وظل تواقاً للعودة إلى الشخروب، وبسكنتا وجبل صنين، حتى إذا انفرط عقد الرابطة القلمية ومات جبران في مستشفى القديس فنسنت في بوسطن في العاشر من نيسان/ ١٩٣١، ويحضر ساعاته الأخيرة والغرغرة، وينقل جثمانه بالباخرة، يوم لم تكن ثمة طائرة تصل إلى العالم الجديد، بناء على وصية جبران، وضافت عليه الأرض بما رحبت، يقرر العودة إلى حضن الجبل الأشم، فيغادر نيويورك نحو بيروت الذي وصلها فجر التاسع من مايس ١٩٣٢، بعد نحو ثلاثين سنة، من التطواف بين الناصرة وبولتافا ونيويورك وباريس وبوسطن.

تقرأ هذه الرحلة السبعينية التي امتدت إلى أكثر من ثماني مئة صفحة، فتجد أن أساليب الكتابة قد تغيرت، فنعيمة يسهب في ذكرياته ويورد المترادفات، ولطالما ناجى نفسه، وكان يمكنه اختصارها إلى النصف، وإذ تقرأ كذلك تجد الأفكار المثالية التي لا تكاد تتطابق مع واقع حال الحياة الإنسانية، إنها أشبه بالتهويمات، قد تصلح لزمان مضى بعيداً، يوم كانت الحياة بسيطة ورخية، أما مع هذا التسارع، وازدياد الطلبات والرغائب فإن من العسير قبول الكثير مما ورد.

تقرأ في (سبعون) فتجد أن نعيمة من المؤمنين بفكرة التقمص والحلول والنسخ والبداء، والنسخ أنواع فهناك المسخ والفسخ والرسخ، وهي أفكار قديمة قال بها الهنود، وبعض الفرق الغالية والمغالية، وهذه الفكرة التي يشاطره فيها جبران- كذلك- ليست مقتصرة على كتابه الثلاثي هذا، بل في العديد من كتبه، فضلاً على العديد من كتب جبران، وقد قرأناها كلها زمن الفتاء، وتعني أن النفس الإنسانية، لا تتلاشى بل تتقمص جسداً إنسانياً آخر، وأن النفس إذا كانت تقية طاهرة، تسعد الجسد الذي تنتقل إليه، وعكسها النفس الرازلة، مقترفة الآثام والكبائر، تؤذي جسد من تتقمصه، فها هو يناجي نفسه، وهو في طريقه إلى محكمة عسكرية، يوم استدعي للخدمة في الجيش الأمريكي، بعد دخول أمريكا الحرب سنة ١٩١٧، قائلاً «يا ميخائيل وأنت تؤمن بأنك عشت أعماراً قبل هذا العمر، ومن الأكيد أن أعمارك السابقة تحتم عليك مثل هذه الخبرة في عمرك الحالي، فلا تتهرب منها (...) وهي لولا حاجتك إليها لما جاءتك) ص ١٨٤

المرحلة الثانية

وهو يعود كرةً أخرى إلى هذه الفكرة فيكتب «أتعرف أن ملايين من الناس يعتقدون أن حياة الإنسان لا تبتدئ في المهد ولا تنتهي في اللحد؟ وإن كل إنسان على وجه الأرض اليوم كان إنساناً قبل اليوم على هذه الأرض؟ فمات وعاد إليها، ثم مات وعاد إليها، وسيموت ويعود إليها، ويظل يموت ويولد إلى أن يتغلب على الشر الصادر عن الجهل». ص٣١٣.

الفكر يولد من نوعه

وإذا يوغل في هذا الأمر، وخشية إثارة الكنيسة عليه، كما أثارها جبران بكتاباته وأقواله. فإنه لغرض التعمية ينسب هذه الآراء لأبناء هذا المذهب قائلاً على الصفحة ذاتها «فالحياة الأرضية في نظر أبناء هذا المذهب هي بمثابة مدرسة ليست مدة الحياة المعلومة كافية لأنهائها، والأستاذ الأكبر في هذه المدرسة هو الاختبار الشخصي. هذا المذهب يقول إن كل فكر يولد من نوعه، وكل عمل يعود على العامل بمثله، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً، فألم اليوم قد يكون نتيجة لشر كان في الأمس، وأفراح هذه الحياة وأتراحها هي الأجرة التي نتقاضاها عن أفراح وأتراح سببناها لسوانا في حياة سابقة، أو في هذه الحياة...).

وسيعود إلى هذه الفكرة، في الجزء الثالث من (سبعون) من غير ان ينسبها لآخرين كما فعل آنفاً قائلاً «ثم أنني لا أستطيع البت- ولا أخال غيري يستطيع- بأن هذه الأرض هي المسكن الأول أو المختبر الأوحد الذي هيأه لنا العقل الأكبر. فقد يكون – وهو الأرجح- إننا عرفنا أرَضين كثيرة قبل ننتقل إلى هذه الأرض، وإننا سنعرف أرَضين أكثر فأكثر من بعد أن تقضي لبانتنا من هذه الأرض، مثلما قد يكون أننا لبسنا من قبل أجساداً غير التي ألفناها هنا، وسنلبس أجساداً تختلف منتهى الاختلاف عن التي نلبسها الآن، ففي المسكونة مختبرات بغير عد». ص١٦

وما ذكرته غيض من فيض، إذ ترد في مواضع أخَر، أشير هنا إلى بعضها، ص٦٠. ص٩٦، «كما إن ميخائيل نعيمة يؤمن بفكرة (وحدة الوجود) التي قال بها المتصوف محي الدين بن العربي (٥٥٨هـ- ٦٣٨هـ) وغيره، فضلاً عن الشاعر معروف عبد الغني الرصافي (١٨٧٥م ١٩٤٥م) الذي بسط رأيه هذا في كتابه (رسائل التعليقات) الصادر سنة ١٩٤٤، وأثار ضجة لدى صدوره، دفع الجهات الرسمية إلى سحبه من سوق الكتب، فالرصافي يعلن إيمانه بنظرية وحدة الوجود قائلاً (إن البحث والتفكير قد ألجأني إلجاء لا محيص عنه إلى الإيمان بوحدة الوجود (...) وليس قولي هذا بالمرَجَّم، ولا اعتقادي بالمتوهم..) ص١٢، ونظرية أو فكرة وحدة الوجود، باختصار، إنما تعني أن الله الأزلي السرمدي المطلق موجود في كل شيء، في الزمان والمكان، وإنه كل شي فلا موجود إلا الله، ونجد صدى هذه الفكرة لدى نعيمة ما جاء على الصفحة ٢٠٧ من الجزء الثاني من (سبعون) قوله «ويعجبني ما تؤكده لي نفسي، وأوافقها عليه، ولكنني عندما أحاول التعبير عن (وحدة الوجود) يتهيأ لي أن أجعل الكلام على لسان غراب بدلاً من لساني» ويأتي نص أكثر توضيحاً على الصفحة ٣١٢ من الكتاب ذاته إذ يكتب (أما أنا فألهي لا يعاقب ولا يثيب. ولا يفرح ولا يزعل. ولا يحقد ولا ينتقم. ولا ينحصر في مكان أو زمان فهو كل شي وفي كل شيء. هو الجوهر الواحد الذي تتعدد مظاهره المحسوسة وتتبدل» ولكي يتخلص من الاحراج، فإنه ينسب هذه الصفات إلى الفكر لا إلى الذات الإلهية، التي يعاتبها عتاباً أقرب إلى التجديف، لدى وفاة شقيقه الأثير إلى قلبه العائد تواً من الدرس في فرنسة (نسيب) الذي لبست أمه السواد القاتم حداداً عليه حتى وفاتها.

تنافس خفي

وإذ خص نعيمة أعضاء الرابطة القلمية العشرة، على قلة شأن بعضهم بترجمة حياتية مختصرة، فإنه خصَّ عميدها جبران بكتاب بعينه، أراه من أروع ما كتب إلى جانب ثلاثيته السيرية (سبعون) هذه الكتب الأربعة، ستحيا إلى أمد متطاول وهي التي ستجلب لنعيمة خلود ذكر.

لكن مهما حاول نعيمة أن يبدو موضوعياً منصفاً لزميله، فما استطاع كبح الذات الإنسانية، فقد كانا فرسي رهان، وكان التنافس الخفي بينهما واضحاً على زعامة هذا الصوت الجديد، القادم من ذلك الصقع البعيد، من العالم الجديد، وما يحمل من توق للتجديد، على مستوى المعنى والمبنى.

لقد كان بارداً وهو في حضرة الموت، وفي الغرغرة الأخيرة لجبران، يحدثنا مثل طبيب مرت عليه آلاف الحالات، لا كصديق وزميل ورفيق حياة وغربة، لكن تلمس اساه وفجيعته، لا بل تجديفه وهو يصف النزع الأخير لشقيقه (نسيب) أو أبيه أو أمه، قد تقول هذا شقيقه، وذاك صديقه، لكن جبران كان يمثل قيمة عليا قد تصل إلى مستوى الشقيق، لكن هي الاحن وهي الأنا وحب الذات.

لقد قرأت الكتاب أكثر من مرة، وهو الذي كان معي منذ منتصف ستينات القرن العشرين، وفي كل مرة أقرأ فيه، يظل رأيي ثابتاً، إن نعيمة ما تخلص من أناه وهو يترجم لشقيق الروح جبران.

ضَريحُ ميخائيل نعيمه في الشخروب رَحلةٌ إلى الذّاتِ الأوسَع

سهى حدّاد

”وُلد ميخائيل نعيمه في بسكنتا في ١٧ أكتوبر ١٨٨٩ ورَحَلَ إلى دنيا الحقّ والنور في ٢٨ فبراير ١٩٨٨، الساعة العاشرة والثلث مساءً، من منزله بالزلقا“. هذا ما تشير إليه الصّخرة الترحيبية إلى ضريح ميخائيل نعيمه على أرض الشّخروب في سفح جبل صنّين.

وما بعد هذه الصخرة الترحيبيّة طريق ضيّق مُغيّا بأشجار السنديان وغيرها من الأشجار والنباتات البريّة من نسج بركات تلك الأرض يقود الزائر إلى ضريح ميخائيل نعيمه الذي هو بوّابة نحو عالم ميخائيل نعيمه الفكري والرّوحي، وربّما بوّابة قد تقود الزّائر إلى ذاته، أو إلى ذاته العليا المنقوشة في ذاكرة الحياة.

شخروب السُكون المطْلق

يؤدّي الطّريق إلى التمثال، وهو رأس ميخائيل نعيمه وكتفاه (ارتفاع ٣،٤ أمتار، عمق متران ونصف، عرض ثلاثة أمتار ضمن العرض العام الذي يبلغ ٧ أمتار). وبجانب التمثال باب موجّه الى جبل صنّين ومنحدراته ونتوءاته التي هي مصدر إلهام ووحي لنعيمه في كثير من مؤلّفاته وعلى رأسها كتاب ”مرداد“ الذي يخصّ بفصل من فصوله ”منحدر الصوّان“ على سفح جبل صنّين وما يتضمّنه ذلك الفصل من رموز فلسفيّة تعانق الوجود وأبعاده الثلاثيّة وما بعدها، وخلف ذلك الباب الناظر إلى الجبل ترقد رُفات نعيمه.

أمام الضريح ساحة معبّدة بالحجارة الخام الطبيعيّة غير مقصوبة، تنضح بسنوات تلك المساحة الصغيرة- الكبيرة التي تجود بها أرض تلك المنطقة. يقف الزائر هناك كأنّه وسط رحم مفتوحة تبعث التجدّد والولادات المتكرّرة في نفْس كلّ زائر يبحث عن نفْسه وعن نور خالقه الموجود فيه.

الضريح والتمثال بأزاميل الإخوة عسّاف الثلاثة: عسّاف ومنصور وعارف (١٩٩٩). والتمثال مأخوذ عن صورة لنعيمه صدرت على غلاف الكتاب الوثائقي للدكتور نديم نجيب نعيمه ”طريق الذات إلى الذات“ حول عمّه ميخائيل، وثّقَ فيه جميع مراحل نعيمه منذ ولادته حتى صدور الكتاب (١٩٧٨) وفيه انطباعات وانعكاسات تركَتْ أثرها على روح نعيمه وفكره. وكان الكتاب صدر مع أسبوع تكريم نعيمة، برعاية الرئيس الياس سركيس، تمت فيه محاضرات ومسرحيّات وأفلام وثائقيّة.

التمثال والضريح

صمّم مشروع ضريح ميخائيل نعيمه وموّله بالكامل الدكتور نديم نجيب نعيمه، أبن شقيق ميخائيل نعيمه. بدأ تنفيذ المشروع في الأوّل من أيّار ١٩٩٩. يومئذ انتقل الإخوة عسّاف إلى الشخروب حيث منزل أجداد نعيمه الذي كان رممه عام ١٩٤٠ فحوّله من قنطرتين لأهل البيت ومواشيهم إلى بيت متكامل مقسّم الغرف. في ذلك البيت وسْط إطار من الجمال الطبيعي والسكون الدهري، ابتدأ الإخوة عسّاف عملهم الفنّي الجبّار وأنهوه في السّابع من أيلول/سبتمبر ١٩٩٩، بما فيه الضريح والتمثال والساحة ومقاعد للزوّار بعضها مكشوف والبعض الآخر متغلغل في سكون الطبيعة وصمتها لمن يبحثون عن التأمّل والانفراد. وكان الافتتاح الرسمي في ٩ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٩.

بهذا العمل من الدكتور بنديم نعيمه، أستاذ الفلسفة في الجامعة الأميركيّة، حفظ فلسفة عمّه في سجلات الشخروب الطبيعيّة، مخلّدًا الأرض التي أنبتت نعيمه وأغواره وأبعاده، وحفرها نعيمه في أزليّته وأبديّته. انها محبّة نديم لعمّه لتحفظ ذاتها على سجلّات الكون المطبوع على تلك الصخور الشاهقة التي تحوّلَتْ بإزميل الإخوة عسّاف إلى صخرة ناطقة يهتف فيها نعيمه إلى ربّه وزوّاره فتلاقيه الدنيا بجمالها وحبورها.

السمو الروحي

فها هو ميخائيل نعيمه من خلال هذا العمل الفنّي الضخم المتمثّل بتحويل صخرة الشخروب المهيبة إلى رأس ميخائيل نعيمه المائل قليلاً، تسنده يده اليسرى، يتأمل بسكون وسكينة في الحياة، في حدودها المرئيّة وغير المرئيّة، مبتسمًا للحاضرين باعثًا سلامًا مبانًا.

تقوم فلسفة ميخائيل نعيمه على مبدأ السموّ الروحي، وعلى أن الإنسان أوسع في مكنونه وأبعد في مقدرته من محدوديات الأعباء الدنيويّة التي تثقل كاهله. فمهمّات الإنسان هي أن ينصهر في النّور الأحد، والذي هو مصدر كلّ أشكال النّور والحياة.

مهّدَ ميخائيل نعيمه الطريق لابن أخيه نديم نجيب نعيمه لـ”ذات أوسع“، ذات تجاوزت المنظور الزمنيّ الدائم التغيير. لذا مهّد نديم نعيمه الطريق لزوّار ضريح ميخائيل نعيمه للسعي وراء ”ذات أوسع“. يمشي الزوار في الطريق الذي يفضي إلى البهو الأرحب، حيث التمثال المنحوت والباب الذي يرقد خلفه جسد ميخائيل نعيمه. في ذلك الفضاء الأوسع علاقة تكامليّة وثيقة مميّزة بين مفاهيم ميخائيل نعيمه عن الله والخلق والجمال، وبين الطبيعة والكمال المحيطين به. فتتضح هذه العلاقة أثيرًا مميزًا من السّلام والانسجام.

ونظرًا لطبيعة التفاعل الروحيّ اللصيق بين ميخائيل نعيمه والخلْق والخالق، اختار نديم نعيمه سطور تأبينية منقوشة على باب اللحد، مقتبسة من كتاب عمّه نعيمه ”نجوى الغروب“ (١٩٧٣) قبيل مَيل شمس الأديب على المغيب في الثمانينات من عمره، إذ سبّح ربّه: طفلك أنا يا ربّي، وهذه الأرض البديعة الكريمة الحنون التي وضعتني في حضنها ليست سوى المهد أدرج منه إليك.“

تُرك باب القبر موارباً لأنه حان الوقت لميخائيل نعيمه أن يغادر هذه الدنيا إلى المقطع الآخر من الوجود. سبقه كثيرون، وكثيرون سيتبعونه. فهنالك حركة مستمرّة من الدخول والخروج من هذه الحياة وإليها، والعكس صحيح، فازدحام المارّين أدى إلى تآكل عتبة الباب. لذا نحتَ الإخوة عسّاف عتبة الباب كأنّها تآكلَتْ من كثرة الدّوس للدلالة على تلك المعاني.

هرم الروح والجسد

آمن ميخائيل نعيمه بتناسخ الأرواح، وهي فكرة تملك تفسير وجود مستويات مختلفة من الوعي. فأرواح البعض تميل لأن تكون بمجْملها حيوانيّة، بينما تميل أرواح أخرى نحو الإنسانيّة الصرفة. ربط نعيمه هذه الحقيقة بعدد الحيوات التي كانت قد اختبرتها الروح: كلّما ازداد عدد الحيوات المعاشة تنقّت الروح وتطهّرت، وكلما تعمّقت درجات الوعي اتسعت الذات. فبحسب نعيمه يمكن محاكاة حقائق الحياة بهرم: في القاعدة غالب البشر الذين تحركهم غرائزهم ومخاوفهم الزمنيّة. وكلّما ارتقوا صعودًا على الهرم ازدادت صعوبة وتحدّيات عمليّة الارتقاء، وكلّما انخفض عدد مرافقيهم تبلغ نخبة قليلة من السالكين معتركات الحياة القمّة حيث يوجد الإله الأحد في ذروة الهرم. وفيما يرتقي البشر درجات الهرم يكتسبون رؤية أشمل، لأنهم يرون من منظور أسمى وأعلى فيستطيعون الكشف عما يعجز من هم في القاعدة على رؤيته وفهمه. وكلّما ارتفع المستوى العُلْوي للروح اتسعت النفْس والرؤيا.

بالعودة إلى باب الضريح وعتبة الباب المتآكلة: أودع ميخائيل نعيمه كتابه وقلمه وغصنًا من شجر البلوط الوافر في تلك الأرض. فلن يحتاجها نعيمه بعد عبوره من ذلك الباب الذي لا يزال مفتوحًا قليلاً، للحياة ما بعد الموت الذي هو حياة لا تنضب. فيرقد غصن البلّوط ممدّدًا هامداً في سكون كما ينام دور القلم والكتاب.

نهاية وليمة القلم

وقد خُطّت هذه السطور على الكتاب: ”تلك الوليمة يا قلمي تنتهي عند أعتابها مهمتك“. ومهمّة القلم انتهت مع انقضاء وليمة الحياة الأرضيّة التي هي عبّارة الى الحياة الماورائيّة.

لقد حوّل نديم نعيمه زيارة ضريح ميخائيل نعيمة في الشخروب في سفوح صنّين إلى تجربة فريدة من نوعها، إذ يتحوّل الزائر إلى قلم يكتب تفاعلاته الخاصّة في عالم ميخائيل نعيمه، وهو اندماج العالم المادّيّ بالروحيّ، رحلة حقيقية إلى الذات الأوسع، كما كتب يومًا: ”إن كنْتُ مرّة، كنت أزلاً.“

وما شيّده الدكتور نديم نعيمه والإخوة عسّاف لميخائيل نعيمه في الشخروب يبقى خالدًا كالأزل والأبد، وهكذا فكر نعيمه وروحه.

عن النهار اللبنانية

"سبعون" ميخائيل نعيمة تكشف معركته العنيفة مع الريحاني

إبراهيم العريس

عندما أراد السينمائي اللبناني مارون بغدادي عام ١٩٧٨ قبل أعوام قليلة من رحيله وهو في شرخ الشباب، أن يحقق فيلماً وثائقياً عن الأديب ميخائيل نعيمة لمناسبة بلوغ هذا الأخير عامه التسعين، كان من الطبيعي له أن ينطلق بداية من كتاب السيرة الذاتية الذي وضعه نعيمة عن حياته وكان قد نشره قبل ذلك بعشرين عاماً تحت عنوان "سبعون". وكان ذلك لمناسبة بلوغه السبعين من عمره، فكان من الطبيعي أن يعنون بغدادي فيلمه بشكل مقتبس: "تسعون". ولقد روى لنا المخرج أنه حين اجتمع للمرة الأولى بنعيمة وأخبره عن العنوان الذي اختاره، غرق هذا الأخير في الضحك وسأله: هل حقاً بلغت التسعين من عمري؟ أوماً بغدادي بالإيجاب فصفن نعيمة وقال: لكن شيئاً لم يحدث في حياتي خلال الأعوام العشرين الأخيرة. بل إنني حين كتبت "سبعون" عجزت عن العثور عما أرويه عن السنوات التي تلت عامي الخمسين. كل ما أعرفه عن حياتي مضى قبل عقودي الأربعة الأولى! وروى لنا بغدادي أنه حين طلب من نعيمة أن يقول هذا أمام الكاميرا رفض مقهقهاً وهو يقول:... أبداً، سأتصرف وكأنني ما زلت تحت الأربعين.

عقاب النقص في القومية

مهما يكن لا شك أن كتاب «سبعون» يمكن اعتباره واحداً من أجمل السير الذاتية التي كتبها أديب عربي، إلى جانب «الأيام» سيرة طه حسين الموهوبة، و«أوراق العمر» سيرة لويس عوض الصريحة، وربما أيضاً إلى جانب سيرة عبد الرحمن بدوي التي تميزت بكونها تصفية حسابات وحفلة من الشتائم لكل الذين خاصموه في حياته فاتسمت بطرافة استثنائية مسلية في نهاية الأمر. غير أن كتاب «سبعون» لم يحظ للأسف ولو بجزء من المكانة المميزة التي حظيت بها بقية السير التي ذكرناها. وربما كان ذلك نوعاً من عقاب عربي جماعي على سلسلة مقالات نشرها نعيمة زمن صدور الأجزاء الأربعة من «سبعون» في مجلة «العربي» الكويتية «شكك» فيها بأيديولوجية القومية العربية قائلاً منذ العنوان «العروبة... ولكن» فإذا بالردود القاسية تنهمر عليه تحت عنوان «العروبة بلا لكن». كل هذا ونعيمة في كتاباته كما في حياته وتنقلاته عبر البلدان والثقافات كان لا يفتأ يعلن عروبته وتمسكه باللغة العربية والتراث العربي، لكن «جريمته» في نظر مناوئيه، كانت تفريقه بين «القومية العربية» و«العروبة». هو كان ينتمي إلى العروبة لا إلى قوميتها التي كانت تجاربه قد علمته أنها نوع من الفكر الفاشي الانغلاقي على عكس العروبة التي هي فكر منفتح على العالم يتكيف مع الآخر وينهل من ثقافة عريقة لا يمكنها أن تتضافر مع مبدأ الكراهية الذي يطبع عادة كل القوميات. لكن مثل هذا التفريق كان عسيراً على الإدراك حين أصدر ميخائيل نعيمة «سبعون» ونشرها عند بدايات الستينيات من القرن العشرين. ومن هنا عجز كتابه هذا عن الوصول إلى القراء وعجز عن حيازة مكان كبير يستحقه في مكتبة السير الذاتية العربية بل في مقدمة تلك المكتبة. وهو لئن كان قد طبع أكثر من دزينة من المرات طوال العقود التالية، فإن شهرته بقيت متواضعة لسنوات طويلة.

لكن الذين قرأوا "سبعون" في أجزائه الثلاثة لم يندموا على الإطلاق، بل استبدت بهم دائماً دهشة استثنائية أمام نص غني وظريف ومسهب يعطي صورة رائعة عن ذلك الكاتب الذي لقب في آخر حياته بـ"ناسك الشخروب" لصمته وابتعاده عن ضجيج الحياة الأدبية الخاوي كما عن الأزمنة المتعددة التي عاشها. ودهشوا خاصة أمام ما يكشفه الكتاب عن غنى الثقافات التي صنعت ميخائيل نعيمة وهي ثقافات متعددة وتعددية. فهناك أولاً ثقافته العربية/ السورية التي حصلها في لبنان ثم واصلها في الناصرة بفلسطين كما يروي لنا في "المرحلة الأولى" من الكتاب، وهناك بعد ذلك الثقافة الروسية، الفكرية والروحية التي حاز عليها خلال سنوات شبابه الأولى حين اختير ليدرس في سيمنار (دير) مدينة "بولتافا" بأوكرانيا، ما أتاح له أن يعاصر المرحلة التي كان فيها ليو تولستوي سيد روسيا الفكري والروحي من دون منازع. وهناك بعد ذلك الثقافة الأميركية التي اكتسبها بعد هجرته إلى هناك وانخراطه في الحياة العملية والأدبية في العالم الجديد، لا سيما في أوساط المبدعين العرب من قاطني نيويورك. ولا بد لنا أن نضيف إلى ذلك كله أن نعيمة، حين أرسل- كمجند في الجيش الأميركي- إلى ميدان القتال في فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى ودائماً كما يروي لنا بظرف في "سبعون"، كان الوحيد من بين أفراد فرقته، الأديب والعالم بشؤون الآداب الفرنسية، ومن هنا كان يحس أنه في دياره حتى على جبهات القتال.

كان ذلك كله ما صاغ لميخائيل نعيمة، ليس فقط ثقافته وأبعادها الفكرية، ولكن كذلك شخصيته. والمعروف أن شخصية نعيمة كانت واحدة من أغنى شخصيات العصر الذهبي للنهضة الفكرية والثقافية العربية. وهو لئن كان قد حكى لنا حكاية ذلك الامتزاج الثقافي لديه في "سبعون"، فإن الأوساط الفكرية والأدبية العربية ستعود بعد انجلاء موجة "الديماغوجية القومجية" لتسهب في الحديث عن ميخائيل نعيمة وعن فكره ودوره الريادي في الشعر والقصة والنقد. ولربما كان نعيمة- إلى جانب جبران وأمين الريحاني- الأديب اللبناني الذي عرف أكثر من غيره في مصر، حيث صدرت عنه كتب عديدة بوأته مكانته التي يستحقها في تاريخ الفكر العربي.

وهنا لمناسبة ذكرنا اسم نعيمة مقروناً هنا باسمي جبران وأمين الريحاني، قد يكون من المفيد أن نعود إلى فصل كتبه نعيمة في "المرحلة الثالثة" من كتابه "سبعون" يتحدث فيه من ناحية عن كتابته تلك الصفحات البديعة إنما القاسية والصريحة أحياناً التي يتألف منه كتابه المرجعي عن "جبران خليل جبران"، ومن ناحية ثانية عن سجال دار بينه وبين أمين الريحاني يتعلق بالكتاب نفسه، وهو سجال قد يكشف في حد ذاته عن جانب صلب من جوانب شخصية نعيمة. فمن المعروف أن نعيمة تحدث كثيراً في الكتاب عن حقائق تتعلق بشخصية جبران، فبدا ذلك لكثر غير ملائم، لا سيما أن الكتاب صدر بعد عامين من رحيل جبران. لكن الغريب في رأي نعيمة أن الرد الأقسى على الكتاب إنما جاءه على شكل رسالة وجهها إليه الريحاني وهي رسالة تحمل أكثر من عتب وتعدد المآخذ على الكتاب في ما يشبه الدفاع المطلق عن جبران وتنزيهه عن كل عيب معلناً دهشته لكون نعيمة قد تجنى على صديقه ولم يكن جديراً به أن يفعل.

أمام تلك الرسالة كان غضب نعيمة كبيراً ليس بسبب ما عناه الريحاني بالمآخذ وهو أمر مشروع في عالم النقد والنقد المضاد، بل تحديداً لأن نعيمة كان يعرف مدى الخصومة الكبيرة التي كانت بين الريحاني وجبران، خصومة تضعهما على طرفي نقيض فكرياً وسياسياً وأدبياً. ولقد استنتج نعيمة من هذا أن الريحاني إنما يحاول في تلك الرسالة أن يبيّض صفحته على حسابه محاولاً تدميره في نظر من يحبون جبران لاعتقاده أن نعيمة هو الوحيد القادر على وراثة صاحب "النبي" فإذا أزيح نعيمة خلا المكان للريحاني. أو هذا على الأقل ما قاله نعيمة في رده على رسالة الريحاني في كلام لعله أتى من أقسى ما كتبه إذ ها هو يخاطب الريحاني قائلاً "لو أن الريحاني لم يقصد تبييض صفحته بتسويده صفحتي ولو أنه لم يرم إلى سد الطريق علي لما خاطبني "من فوق" وبلهجة المعلم والمؤدب (...). ألا اعذرني يا أمين. اعذرني إذا ما قلت لك صراحة ما بعدها صراحة إني لو كنت أجهل من الصداقة حتى الألف والباء ولم يكن في الأرض معلم سواك، لما رضيت أن أدرسها عليك...". يومها انقسمت الحياة الأدبية العربية بين نعيمة والريحاني. ولكن ما إن انقضت فترة حتى كان نعيمة بطيبة قلبه المعتادة يصافح الريحاني ما إن التقيا صدفة ويتأبطه وكأن شيئاً لم يكن!.

عن الاندبندنت عربية

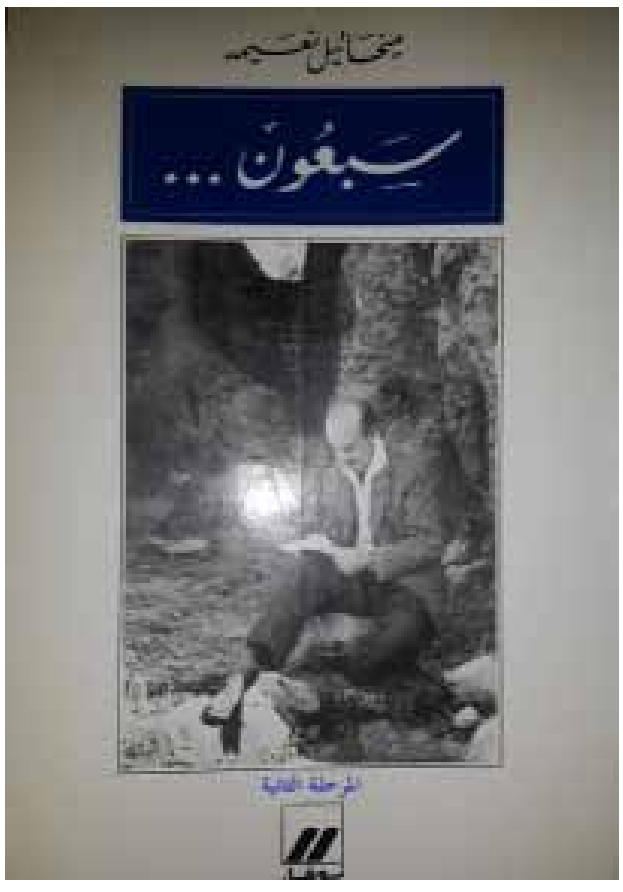

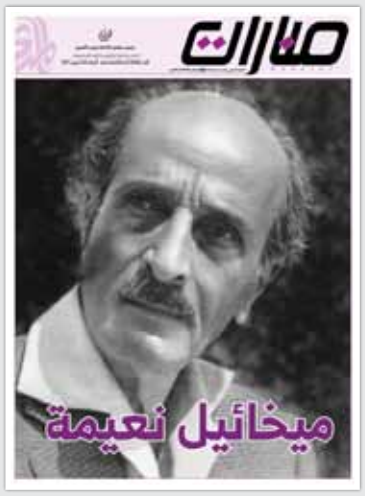

manarat
www.almadasupplements.com
رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق
منارات
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

ميخائيل نعيمة والادب الروسي

د. ضياء نافع

عاش ميخائيل نعيمة ٩٩ سنة بأكملها, إذ ولد في القرن التاسع عشر عام ١٨٨٩ وتوفي في القرن العشرين عام ١٩٨٨ , وأصدر العشرات من الكتب ذات الموضوعات المختلفة والمتنوعة من قصة ومسرحية ورواية وشعر ومقالات في النقد الادبي والتأملات الفلسفية وعلم الاجتماع والسير الذاتية وغيرها , وذلك لأن ثقافته كانت متنوعة جداً وموسوعية بكل معنى الكلمة. تتناول مقالتنا علاقة ميخائيل نعيمة بروسيا فقط وأدبها وفكرها , وتحاول أن تجد جواباً عن سؤال محدد , غالبا ما يدور في أوساطنا الأدبية حوله , وهو - هل تأثرت نتاجات نعيمة بالادب الروسي بشكل خاص , والفكر الروسي بشكل عام , وذلك باعتبار روسيا وأدبها هي (الحب الأول !) بالنسبة لميخائيل نعيمة؟.

درس نعيمة في المدارس الروسية ، التي كانت منتشرة في فلسطين وسوريا ولبنان في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والتي كانت تنظمها وتشرف عليها الجمعية الارثذوكسية الفلسطينية في روسيا (توقفت هذه المدارس نتيجة للحرب العالمية الاولى وثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧) ، وهي مدارس دينية تبشيرية مجانية (مثل حال المدارس الكاثوليكية أو البروتستانتية من الدول الغربية) ، وكان ضمن مواد تلك المدارس مادة اللغة الروسية طبعاً، وعادة ما يرسلون الخريجين المتميزين فيها للدراسة لاحقاً في روسيا ، وهذا ما حدث بالنسبة لميخائيل نعيمة أيضاً ، إذ تم إرساله للدراسة في منطقة بولتافا في أوكرانيا ، والتي كانت ضمن الامبراطورية الروسية ، حيث درس نعيمة في (السيمناريا الروحية) خمس سنوات (حتى عام ١٩١١)، و(السيمناريا الروحية) هذه هي مدرسة عليا دينية أرثذوكسية كانت موجودة في بولتافا ، وترك روسيا وسافر الى أميركا رأسا، حيث عاش من عام ١٩١١ الى عام ١٩٣٢ ، واكتسب هناك الجنسية الاميركية ، ودرس في كلية القانون وتخرّج فيها ، وبدأ نشاطه الادبي من امريكا عام ١٩١٤، وهذا كله يعني ، إن نعيمة وصل الى روسيا عندما كان صبياً عمره ١٦ سنة ليس الا ، وتركها بعمر ٢١ – ٢٢ سنة ، وإنه التحق بالجامعة في اميركا بعد دراسته بروسيا ، ولكن بعض المصادر تشير ، الى أنه درس في (جامعة بولتافا !)، وإنه اطلع هناك على نتاجات الادباء الروس ومجمل الأدب الروسي، وكل ذلك طبعاً ، معلومات غير دقيقة ، إذ لم تكن هذه جامعة بالمعنى العلمي المتعارف عليه عالمياً.

نعيمة اثناء سنته الاولاً في روسيا

لا توجد لدينا معلومات تفصيلية عن طبيعة المناهج ومفرداتها في هذه المدرسة الدينية الارثذوكسية العليا، التي درس فيها نعيمة ، إلا ان اسمها يدل بلا شك أن الدراسة ومفرداتها كانت في إطار المفاهيم الدينية من وجهة النظر الارثذوكسية ، وهناك مصادر تتحدث أن نعيمة لم يكمل دراسته هناك بسبب حب فاشل مع امرأة روسية متزوجة ، وان مجلس المدرسة الدينية هذه رفض استمراره بالدراسة ، وكل هذه النقاط تقتضي التقصّي والتدقيق في سيرة حياة نعيمة حتما. لقد كتب نعيمة في كتابه الذي يحمل عنواناً طريفاً – (أبعد من موسكو ومن واشنطن) ما يأتي- (...ومن شعر بوشكين وليرمونتوف ونكراسوف أطللت على الكآبة العميقة في النفس الروسية ، ومن روايات تورغينيف استطعت أن أدخل قصور الشرفاء ، أما بيلينسكي – سيّد النقاد الروس بلا منازع - فقد كشف لي عن مواطن الصدق والخير والجمال في العمل الأدبي ، وماذا أقول عن تشيخوف – سيّد القصاصين الروس وغير الروس....) (المجموعة الكاملة / بيروت / مجلد ٦ / ١٩٧٨ / ص ٢٠٩) ، اما عن تولستوي ، فقد كتب نعيمة ما يأتي في كتابه (الغربال الجديد) - (...عظيم هو تولستوي لانه مثّل في شخصه ، وفي أدبه ، وفي حياته طبيعة الشعب الذي أنجبه..وسيبقى عظيماً لأنه كاتب عظيم ، ولأنه حاول أن يحيا حياة العظماء من المصلحين والانبياء..) (المجموعة الكاملة / بيروت / مجلد ٧ / ١٩٧٩ / ص ٣٧٥).

إن هذه الاستشهادات التي اوردناها (والتي لا تتحمل طبيعة المقالة استشهادات كثيرة أخرى مماثلة موجودة في نتاجات نعيمة) حول الادب الروسي صحيحة ودقيقة وموضوعية بلا أدنى شك ، وهي تعني – فيما تعنيه – إن ميخائيل نعيمة قد درس الادب الروسي بعمق ومن مصادره الأصيلة، وانه واحد من الادباء العرب القلائل الذين يعرفون خصائص هذا الادب وأهميته وقيمته ، إلا أن هذا لا يعني بتاتا ، إن نتاجاته متأثرة به كما يقول البعض من الباحثين العرب ، ولهذا ، فان الجواب عن السؤال الذي طرحناه في بداية المقالة يصبح واضحاً.

لقد اختط ميخائيل نعيمة اسلوبه وموضوعاته ومكانته في الادب العربي الحديث بنفسه ونتيجة لعبقريته الذاتية ومواهبه ، بل إنه حاول طرح نفسه عالمياً (يشير البعض الى رغبته الشديدة والكامنة في أعماقه للوصول الى مكانة رفيقه جبران خليل جبران ! ولكن هذا الشيء يتطلب الاثبات طبعاً وبشكل موضوعي ودقيق).

نختتم مقالتنا هذه بالإشارة الى خبر يكاد أن يكون مجهولاً للقراء العرب ، وهو إقامة تمثال نصفي لميخائيل نعيمة في بولتافا بأوكرانيا عام ٢٠١١ ، وفي المكان الذي درس فيه هناك ، والذي تحوّل الان الى الاكاديمية الزراعية ، وهو أول تمثال له خارج وطنه لبنان.